معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 17/ العدد 1 (جوان 2022): ص.ص: 588-603

منهج المرزوقي في رواية الشعر من خلال شرح ديوان الحماسة لأبي تمام

The Method Of Ali marzouki In Narating Poetry Throught The Commentary Of Diwan Alhamassa by Abu Tamam

ط.د شريفة أكساس [1] * أ.د. سالم سعدون[2]

[1] جامعة البويرة، الجزائر، cherifaaksas@gmail.com

مخبر: دراسة نظرية وتطبيقية معمقة لتطبيق النظام التعليمي الجديد LMD في الجامعة الجزائرية بهدف تكوين أقطاب جامعية تنموية مندمجة.

[2] جامعة البويرة، الجزائر، Sdecub@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/04؛ تاريخ القبول: 2021/12/09؛ تاريخ النشر: 2022/06/01

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة منهج "أبي علي المرزوقي" في شرحه لديوان الحماسة لأبي تمام، الذي يقوم على قضايا أدبية ونقدية ولغوية متنوعة، ناهيك عن المقدمة النقدية التي صدر بها كتابه، فبفضل عبقريته ودقته في التحليل والاستنباط ، نال هذا الشرح شهرة واسعة لم تنله الشروح الأخرى لديوان الحماسة.

لا يروم هذا المقال تقصّي البحث في شاعرية أبي تمام ولا استعراض الشروح التي تناولت ديوان الحماسة، بقدر ما يسعى إلى إبراز أهم السمات والظواهر التي تفتقت عنها عبقرية "المرزوقي" في شرحه للحماسة خاصة جانب رواية النصوص الشعرية. باعتبارها عصبا مُهِما يتّصل بالمعنى أوّلا وبالعناصر الأخرى المكملة للمنهج ثانيا.

الكلمات المفتاحية: منهج؛ المرزوقي؛ رواية الشعر؛ ديوان الحماسة؛ أبو تمام.

Abstract:

According to the explanation of Abu Ali el Marzouki of the most important explanations of enthusiasm including of a variety of literary,

*المؤلف المرسل.

critical and linguistic issues without mentioning the introduction of his book, due to his intelligence and accuracy in analysis and deduction , this explanations to enthusiasm gained wide frame than ever.

This essay does not seek neither search about abi tammam`s poetry nor to review the annotations that dealt with the office of enthusiasm as much as it tries to explain the most important features and ph3nomenon that had been done by el marzouki especially the novel side of poetic texts since it was considered as the necessary element of curriculum.

Keywords: explanation; marzouki; dulenenthusiasm ; Abu tammam; novel poetry; trade-off - curriculum.

مقدمة:

يقوم منهج الشرح عند "المرزوقي" على مجموعة من العناصر، منها الرواية، علوم اللغة، النحو، علوم البلاغة، النقد، لكن تعتبر "الرواية" المنطلق لهذه العناصر. لأنها تشغل حيزا كبيرا في شروحه، ثم إنّ كثيرا ما يتوقف على الرواية توجيه المعنى وتحديده، فبصحة الرواية يتوقف عليها صحة الشرح ودقته، وقربه من مقصد الشاعر، وحقيقة المعنى.

من هنا نتساءل: كيف تناول " المرزوقي" رواية النصوص الشعرية في شرحه لديوان الحماسة لأبي تمام؟

لكن قبل ذلك، ارتأينا الحديث عن المنهج السائد قبل "المرزوقي" في شرح الشعر خاصة "ديوان الحماسة" لأبي تمام.

- منهج شرح "ديوان الحماسة" لأبي تمام قبل "المرزوقي":

تناول شعر أبي "تمام" شرّاح عديدون، وكانت تلك الشروح[1] تزداد وتتّسع مع الإضافات التي يقوم بها الشارح المتقدّم على الشّارح المتأخر. وقد اخترنا من تلك

(1)- اختلفت المصادر والمراجع في ثبت شروح حماسة أبي تمام، فصاحب "كشف الظنون" أحصاها و بلغت عنده اثنان وعشرين شرحا، وهي في ثبت عبد السلام هارون بلغت ثلاثين شرحا، وفي ثبت عبد الله عبد الرحيم عسيلان بلغت خمسة وثلاثين شرحا. أمّا في ثبت السيد محسن الأمين فقد بلغت اربعة وثلاثين شرحا، بعضها =

الشروح شرح[1]"أبي علي المرزوقي"[2]، فهو من الشخصيات البارزة التي لعبت دورا هامًّا في المصادر التي اعتمدها في الشرح، إذ كانت شخصية موصوفة بالاستقلالية والتفرد بالآراء الأمر الذي جعله قليل الفائدة من الشراح الذين سبقوه، الذين كانوا يعتمدون في شرح النصوص الشعرية على النقل والرواية. وانتهجوا في ذلك : شرح الألفاظ الغريبة، شرح العبارات المشكلة، وأخيرا توضيح المعنى الكلي.

هذا هو إذا المنهج السائد في شرح النصوص الشعرية قبل "المرزوقي"، يبدأون بالجزء ويتدرجون إلى أن يصلوا إلى الكل، هكذا حتى يكتمل الشكل العام لشرح البيت[3].

خالف "المرزوقي" سنّة هؤلاء الشراح، فاعتمد على العقل والدراية، وسار وفق منهج «يقوم على دعامات فنية ومقومات أدبية وعلمية، تتآزر فيما بينها لتخدم النص الشعري، وتضيء جوانبه، وتبرز سماته ومعانيه في أجمل صورة»[4]. أو بالأحرى هو المنهج الذي «يقوم على استعراض الروايات، ومقارنتها واختيار أفضلها وأجودها وأقربها إلى مذهب الشاعر ومقصده» [5].

=

شروح عامة كشرح الإمام المرزوقي(421هـ) وشرح الخطيب التبريزي(502هـ)، ومنها أيضا شروحا خاصة ، تناولت أوجها معينة من ديوان الحماسة القيم، منها" المبهج في شرح أسماء رجال الحماسة لابن جني، ومنها رسالة في ضبط أعلام الأماكن" في ديوان الحماسة لأبي هلال العسكري.

(1)- طبع هذا الشرح بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون، وأحمد أمين وذلك في مطبعة لجنة الأليف بمصر عام 1388هـ-1968 للمرة الثانية.

(2)- هو أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي أبو علي، علم بارز من أعلام اللغة والأدب، كان غاية في الذكاء والفطنة، أحسن التصنيف، نشأ في أصبهان، وتلقى فيها مختلف العلوم، نال الحظوة عند بني بويه، وصار معلما لأولادهم. له من الكتب: شرح حماسة أبي تمام، والذي أجاد فيه كثيرا ، شرح المفضليات، شرح أشعار هذيل. ينظر ترجمته في معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص506.

(3)- أطلق "أحمد جمال العمري" في كتابه" شروح الشعر الجاهلي" على هذا المنهج: المنهج الالتزامي النقلي، الذي يقوم على الرواية والنقل والسماع ، أي تجميع أقوال السابقين على اختلاف اهتماماتهم وحصرها ، ورصفها جنبا إلى جنب ، ما توافق منها وما تعارض، دون المساس بجوهر الأقوال والأفعال. ينظر: أحمد جمال العمري شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح، ج2، دار المعارف، مصر، 1981، ص 53.

(4)- ينظر: أحمد جمال العمري، شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح، ج2، ص129.

(5)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعليه وبفضل هذا المنهج الذي انتهجه "المرزوقي" في شرحه لديوان الحماسة، صار شرحه يعد نسيجا وحده بالقياس إلى الشروح التي وصلت إلينا[1].

وقد توصل "المرزوقي" إلى هذا المنهج بعد أن طرق مجموعة من الأبواب منها، باب الرواية، باب اللغة، باب النحو، باب علوم البلاغة، باب النقد.

وإذا نظرنا إلى كيف تناول "المرزوقي" الرواية، نجد بأنه قد عنى بهذا الجانب، وتعرض له في صور متعددة ، ومسلكه في ذلك أن يجعل نُصب عينيه رواية أصل الحماسة يعتمدها في الشرح غالبا، وإلى جانبها يذكر الروايات الأخرى إن كانت هناك روايات، مُحللا في مجال التحليل وناقدا في مجال النقد ومفاضلا بين الروايات في مجال المفاضلة.

ولعل أهمّ السمات لمنهج "المرزوقي" في تناول روايات الشعر خلال شرحه للحماسة إنما تبرز في مجالين: مجال المفاضلة بين الروايات ومجال نقد الرواية.

أولا: مجال المفاضلة بين الروايات

نجد "المرزوقي" في هذا الجانب يعمد إلى ذكر رواية أخرى إلى جانب الرواية الأصل في الحماسة، ويحاول أن يفاضل بين الروايتين واضعا في اعتباره الأسس التالية:

1- فصاحة الرواية: يشير "المرزوقي" أثناء المفاضلة بين الروايتين إلى الأفصح منهما، كقول أبي الغول الطُّهَوِي[2]:

ولا يَرْعَــوْن أكنـــاف الهُـــوينَى إذا حَلُّـــوا ولا أرضَ الهُـــدونِ

(1)- من بين الشروح التي وصلت إلينا عن ديوان الحماسة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: شرح أبي عبد الله النمري، شرح ابن فارس، شرح الحماسة المنسوب إلى الفسوي، شرح التبريزي، شرح أبي رضا الراوندي. ينظر: عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها، دار إحياء الكتب العربية، ص55.

(2)- أبو الغول الطهوي من قوم بني طهيّة. يقال لهم بنو عبد شمس بن أبي سود.وكان يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها. ينظر: البغدادي، خزانة الأدب، تح: عبد السلام هارون، ج6، مكتبة الخانجي،ط3، القاهرة، 1997، ص438.. أمّا الغول مأخوذ من غالهُ يَغوُلُه غَوْلا، إذا أهلَكهُ، وهم يُسَمّون كلَّ داهية غولا، وبذلك سمّوا الشيطانَ والحيَّة غولا. والغيلان عِندهم سحرة الجنّ. قال كعب بن زهير:

فما تدوم على وصل تكون بها كما تلوّن في أثوابها الغُولُ

ينظر: كعب بن زهير، الديوان، تح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997،ص61

ثم ذكر له رواية أخرى فقال : ويروى "ولا رَوْضَ الهُدونِ" وهو أفصح[1]

2- بلاغة الرواية، كقول الشميذر الحارثي[2]:

فَـإِنْ قُلْـتُمُ أَنَّـا ظَلَمْنَـا فَلَـمْ نَكُـنْ ظَلَمْنَـا وَلَكِنَّـا أَسَـأْنَا التَّقَاضِـيَا

على الرغم من أنّ هذه الرواية هي الرواية العليا عند "المرزوقي"، إلاّ أنه ذكر رواية أخرى وفضّلها، قال: ورواه بعضهم :" فَإِنْ تَزْعُمُوا أَنَّا ظَلَمْنَا" ويفصح عن كونها أبلغ بقوله:" والزَعْمُ في دَفْعِ الدَّعْوَى أَبْلَغُ[3].

3- سلامة الرواية: يذكر "المرزوقي" في مجال المفاضلة بين الروايات أصلها مع الإشارة إلى ما يؤيد قوله، ونجد نحوا من ذلك في شرحه لقول تأبّط شرا:

إِذَا خَـاطَ عَيْنَيْـهِ كَـرَى النَّـوْمِ لَـم يَـزِلْ لَـهُ كَالِئٌ مِـنْ قَلْـبِ شَـيْحَانَ فَاتِـكِ[4]

وَيَجْعَـــلُ عَيْنَيْـــهِ رَبِيئَـــةَ قَلْبِـــهِ إِلَى سـلَّةَ مِـنْ حَـدِّ أَخْـلَقَ باتِـكِ[5]

قال عن البيت الثاني يروى:

إِذَا طَلَعَـتْ أَوْلَى العَـدِيّ فَنَفْـرُه إِلَى سـلَّةَ مِـنْ حَـدِّ أَخْـلَقَ باتِـكِ

ثم عقب على هذه الرواية ذاكرا أنها أسلم الروايتين، وأيّد قوله بأنّ الرواية الأولى يتكرر فيها معنى واحد في مصراعي البيتين[6].

4- شهرة الرواية وجودتها، يحاول "المرزوقي" أثناء المفاضلة بين الروايات على هذا الأساس غالبا أن يعلل لما يقول، وقد يكون التعليل مرتكزا على جانب نحوي إعرابي،

(1)- ينظر: المرزوقي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام،علق عليه وكتب حواشيه، غريد الشيخ، منشورات دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003، الحماسية 3، ص36.

(2)- قال الدّريدي: شميذر: دابَّةٌ زعموا، ولا أحسبها عربية صحيحة. ينظر: المرزوقي ، شرح الحماسة، الحماسية16، ص93.

(3)- المرزوقي، شرح الحماسة، الحماسية 16، ص94، 95.

(4)- وفي شرح التبريزي: إذا حاص. ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، ص75.

(5)- رواه التبريزي: أخلق صائك. ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، ص75.

(6)- المرزوقي، شرح الحماسة، الحماسية، 13، ص73-74.

مثلا كقول رجل من بني أسد[1]:

أَبْعَـدْتَ مِـنْ يَوْمِـكَ الفِـرارَ فَمَـا جَـاوَزْتَ حَيْـثُ انْتَهَى بِكَ القَـدَرُ

قال:" ويروى: أَسْرَعْتَ مِنْ يَوْمِكَ الفِرَارُ". لكن "المرزوقي" يرى أنّ الرواية الأولى أي رواية متن الحماسة أشهر وأجود، ذلك لأنّ "من" يتعلق فيها بأبعدت، والمعنى فررت من أجلك فرارا، وإذا رويت" أسرعت" احتجت إلى إضمار فعل يتعلق به "من" ولا يجوز تعلقه بأسرعت ولا بالفرار لأنه يكون من صلته وقد قدم عليه[2].

-أمّا الشهرة، منها قول السموأل:

تَسِـيلُ عَلَى حَـدِّ الظُّبَـاتِ نُفُوسُـناَ وَلَيْسَـتْ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسيلُ

يروى: تسيلُ على حَدِّ السيوف نُفُوسُنا..." والرواية المشهورة (تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ)[3].

-والجودة، منها قول يزيد بن حِمّان:

إنّي حَمدتُ بني شَيْبَان إذْ خَمَدَتْ نِيرانَ قَـوْمِي وفِـيهِم شُـبَّتِ النَّـارُ

قال المرزوقي"...وقال (نيران قومي) وإن أراد غيرهم معهم، تفضيلا لهم على قومه، وإيذانا بالصدق في مخبره، فبدأ بذكر قومه وذويه...) ويروى:" نيران قومٍ" والأول أجود[4].

أجود[4].

-أمّا إذا تساوت الروايات من حيث الصحة والجودة ولم يستطع تفضيل رواية بعينها، حينئذ لا يرى بدّ من أن يشرح كل الروايات، فيسوق لكل رواية معنى يناسبها.

كقوله في رواية بيت حجر بن خالد:

ولَكِنَّـــا نَأَيْنَـــا واكْتَفَيْـــتُمْ وَلاَ يَنْـأَى الحَفـيُّ عَـنِ السُّـؤَالِ

(1)- قال التبريزي أن هذا البيت "لابن كناسة" . ونفس الرأي ذهب إليه ابن خلكان في ترجمة حماد الراوية وذكر أنّ محمد بن كناسة يرثي حمّادا بهذا الشعر. ونفس الشيء في الفهرست لابن النديم ص135.

(2)- المرزوقي، شرح الحماسة ، الحماسية 370، ص 740.

(3)- المرجع نفسه، الحماسية 15، ص88.

(4)- المرجع نفسه، الحماسية 93، ص219.

بدأ "المرزوقي" شرحه بقوله:" ويروى واكْتَفَيْنَا" ثم مضى فشرح البيت على الرواية التي أثبتها قال:" يقول بعدنا عنكم فاستقللتم بأنفسكم، واستغنيتم عمن يعاضدكم في كل ما يدهمكم، فلن تدعكم حاجة إلى مجاورتنا ولا ألجأتكم الضرورة إلى التكثر بنا". ثم رجع إلى الرواية التي أشار إليها فشرحها بقوله:" ومن روى: واكتفينا، كان المعنى: اكتفينا في البعد عنكم فلم نحتج إليكم" ثم بيّن قصد الشاعر في الروايتين معا فقال: "والقصد في الروايتين أنه لم يكن بإحدى الجنبتين افتقار إلى الأخرى فصار ذلك سببا في التنائي، وعذرا بينا في التأخر عن المعاونة والمكانفة[1].

هنا في هذا الجانب أي عندما تتساوى الروايات تظهر فيه شخصية "المرزوقي" بوضوح، وذلك دليل على دقة وفهم تام لمعاني الشعر، ومعرفة واسعة للغة وأسرارها.

5- الاستجادة دون تعليل، يفاضل "المرزوقي" بين رواية وأخرى معتمدا على إحساسه الفردي دون تعليل أو إيضاح لموقفه، كقول بعض شعراء بلعنبر:

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً ومِـنْ إِسَـاءَةِ أَهْـلِ السُّـوءِ إِحْسَـانَا

نجده يذكر رواية أخرى هي" مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ" ثم يعقب قائلا: "وهذه الرواية عندي أحسن[2]ولم يذكر لنا لماذا كانت أحسن عنده.

6- كما نجد "المرزوقي" قد يذكر رواية معينة لمجرد الذكر" وهي ليست بشيء" عنده لكنه يذكرها من باب العلم، ويصل به الأمر أحيانا إلى تجاهل شرحها، مثل قول أبو عطاء السنديّ:

ذَكَرتُـكِ والخَطِـيُّ يَخْطِـرُ بَيْنَنَـا وقـدْ نَهِلَـتْ منَّـا المثقَّفَـةُ السُـمُرُ

قال المرزوقي: "روى بعضهم (وقد نُهكتْمنّا المثقفة) من نهْك المرض، وليست بشيء[3].

ثانيا: مجال نقد الرواية:

لا يكتفي "المرزوقي" في هذا المجال بعرض الروايات عرضا مجردا، بل كان يدقق

(1)- المرزوقي، شرح الحماسة ، الحماسية 172، ص368.

(2)- المرجع نفسه، الحماسية1، ص21.

(3)- المرجع نفسه، الحماسية 7، ص44.

النظر فيها فاحصا وناقدا ومصوبا، وما يمكن أن نسجله في هذا المجال ما يلي:

1- إنّ نقد الرواية عند "المرزوقي" يعتمد أحيانا على النظر في مدلول ألفاظ الرواية ومدى مناسبتها للسياق الذي أدرجت فيه، مثلا كقول أبي كبير الهذلي:

مِمَّـنْ حَمَلْـنَ بِـهِ وهُـنَّ عَوَاقِـدُ حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَـبَّ غَيْرَ مُهبّلِ

نجد "المرزوقي" ينقد رواية أصل الحماسة ذاكرا أن الرواية "حبك الثياب". وليست "حبك النطاق" ذلك لأنّ النطاق قد جاء من بعد في صفة "أم المغشم" فتكرر، ولأنّ النطاق لا يكون له حبك وطرائق[1].

إذا كما يبدو هنا أنّ "المرزوقي" اعتمد في نقد الرواية على أمرين: أولهما تكرر الحديث عن النطاق في موضعين من الأبيات، وثانيهما وهو المهم أن الحبك لا يتناسب مع النطاق ولا يشاكله لأن النطاق لا يكون له حبك.

2- اهتمّ "المرزوقي" بالمعنى لما له من قيمة في نقد الرواية وتصويبها، فهو كثيرا ما ينقد الرواية بدعوى أنها لا تنسجم مع ما يقتضيه المعنى، يتجلى ذلك واضحا في شرحه لقول عامر بن الطفيل:

أَكُـرُّ عَلَـيْهِم دعْلَجَـا وَلَبَانُـهُ إذا مَـا اشْـتَكَى وَقْـعَ الرِّمَـاحِ تَحَمْحَمَـا

ذكر أنّ المعنى (أعطف فرسي دعلجا عليهم حالا بعد حال وكرا بعد فر وإذا اشتكى من كثرة وقوع الطعن بصدره حمحم، وجعل الفعل للصدر عل المجاز والسعة لكونه موقع الطعن، هذا إذا رويت "ولبانُه" بالرفع، لأن بعض الناس روى "ولبانَه" بالنصب، كأنه فر من أن يكون الاشتكاء والتحمحم للبان على كثرة نسبة الاشتكاء إلى الأعضاء الآلمة فوقع فيما هو أقبح لأن المراد أكر عليهم فرسي. فلا معنى لعطف اللبان عليه)[2].

ثم دعّم ما ذهب إليه من معنى قول "عنترة" في المعنى مشيرا إلى إحسانه فيه وهو[3]:

(1)- المرزوقي، شرح الحماسة ، الحماسية 12، ص65.

(2)- المرجع نفسه، الحماسية 27، ص114.

(3)- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط1، بيرو، 1996، ص183.

فَــازْوَرَّ مِــنْ وَقْــعِ القَنَــا بلَبَانِــه وَشَــكَا إِلَــيّ بِعَبْــرةٍ وتحَمْحُــمِ

3- راعى "المرزوقي" قواعد العروض والقوافي في نقد الرواية، فهو ينقدها بناء على عيب عروضي انطوت عليه على نحو ما نجده في شرحه لقول بيت دريد بن الصمة:

فَطَاعَنْتَ عَنْهُ الخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ وحَتَّى عَلاَنِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ[1]

أثبت "المرزوقي" أنّ في متن هذا البيت إقواء، إذ أنّ حرف الرويّ مكسور في سائر أبيات القصيدة ومطلعها "أرث جديد الحبل من أم معبد" غير أننا نراه يقف عند الرواية التي أثبتها فيقول" وقوله حتى علاني حالك اللون أسود فيه إقواء، وكثير من العلماء يهونون الأمر في الإقواء، ولا يعدونه عيبا قبيحا. وحكي عن "الأخفش" أنه قال: ما أنشدني العرب قصيدة سلمت من إقواء طالت أو قصرت، ثم انتقل مشيرا إلى رواية أخرى هي "وحتى علاني حالكٌ لونُ أسودِ" فقال رادا هذه الرواية:" والضعف فيه ظاهر ألا ترى انه قال: حالك وهو الشديد السواد ثم قال: لون أسود، وفي إضافة لون إلى أسود ما لا يرتضي" فكأنه بذلك يقرر أنه ليس من المألوف في كلام العرب إضافة اللون إلى صنفه، فلا يقال لون أبيض ولا لون أصفر، وينتقل "المرزوقي" إلى رواية ثالثة يراها أجود من هذه التي اعترض عليها قال:" وأجود من هذا أن يروى: حالك اللون أسوديُ، وهو يريد أسوديّ، كما قيل في الأحمر أحمري وفي الدّوار دوّريّ ثم خففت ياء النسبة بحذف أحدهما وهو الأول وجعل الثاني صلة"[2].

إنّ "المرزوقي" وهو إن كان قد استجاد هذه الرواية فإنما استجادته قائمة على المفاضلة بينها وبين الرواية الثانية التي اعترض عليها وأبطلها بما درج عليه العرب في كلامهم. أما الرواية التي أثبتها فهي عنده هي التي صدرت عن الشاعر لشيوع الإقواء بين الشعراء وفقا لما قاله الأخفش.

(1)- رواه التبريزي: فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تنفّسَتْ وحتَّى عَلانِي حالكُ اللّونِ أسْوَدِي
و"أسْوَدِي" يريد "أسوَدِيُّ"، كما قيل في الأحمر: أحمريُّ، وفي الدوّار: داريُّ. ثمّ خففت ياء النسب بحذف إحداهما، وهو الأول، وجعل الثاني صلة. ينظر: التبريزي، شرح الحماسة، الحماسية 271، ص534.

(2)- المرزوقي، شرح الحماسة، الحماسية 271، ص579.

4- سار "المرزوقي" على أساس منهجي في التثبت مما يقوله في نقد الرواية، وذلك بالرجوع إلى ما يقع تحت يده من نسخ الحماسة، ونلحظ ذلك في قول حريث بن عناب:

تَعـالَوا أفـاخركُمْ: أأعْيـا وفقْعـسُ إلى المجـدِ أدنى أم عشـيرةُ حـاتمِ

فقد روى بعضهم "أأعيار فقعس" يريد رؤساء فقعس، وزعم أنّ أعيا لا يعرفه اسم قبيلة، وإن رواية "أأعيا وفقعس" تصحيف استدركه فوقف "المرزوقي" معترضا على هذا القول من أوجه ثلاثة:

أحدهما أن بني أعيا من قبائل سعد بن قيس[1] وهو مشهور ذكره النسابون وغيرهم. وثانيها: أن طريقة النظم تقتضي أن تكون القبيلة مقابلة بمثلها ومذكورة في المنافرة معها أحسن من أن يقابل الأفراد بالقبيلة، وأعيار إشارة إلى الأفراد لأنه يراد بها الرؤساء. وثالثها: أنه رجع إلى نسخ مختلفات المصادر فوجدها متوافقة في تحملها "أأعيا وفقعس" "وإذا كان كذلك لا يجوز العدول عما قاله الشاعر إلى ما لم يقله".

ورأى أنها تروى أأعيار فقعس" إذ اعتبر الرواية الثانية من قبيل التصحيف، ثم أيد رواية الحماسة بقوله: هذا وقد رجعنا إلى نسخ مختلفات المصادر فوجدناها متوافقة في تحملها : أأعيا وفقعس"[2]

هذا فضلا عمّا سبق، لقد تطرّق "المرزوقي" إلى جانب مهمّ في دراسة رواية الشعر، وهو تصويبها، الذي جاء مبنيا على مجموعة من الأسس منها:

1- **الحوار والنقاش**: كأن يقول: "فإن قيل كذا....قلت" أو يقول: "ألا ترى قوله...".

مثال ذلك قوله عن رواية بيت جندل بن عمرو:

إن كنـتُ لا أُرمـى وتُزْمَـى كَنَـانَتِي تُصَـبُ جَانِحـاَتُ النِّبـل كشْـحي

(1)- في جمهرة أنساب العرب لابن حزم تح: محمد عبد السلام هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، 1962، ص 195 ما يفيد بأن أعيا وفقعسا تفرعا من طريف بن عمرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة وهو الصحيح، ويتفق مع ما جاء في الشعر لأن الشاعر ينافر قبيلتين من أصل واحد لا من أصلين مختلفين، فالمقصود بأعيا هنا أعيا طريف لا أعيا سعد بن قيس.

(2)- المرزوقي، شرح الحماسة، الحماسية 69، ص186.

"...روى بعضهم: "جانحات النبل (وهي المستأصلات المهلكات).

وليست هذه الرواية بجيدة، لأن الغرض ما ذكرته من أن من يمسّه أمره إذا قصد كان كنفسه.. فإن قيل: فلم خصّ الجانحات؟.. قلت: المراد فيما ضرب المثل له" إني رميت إذا رميت الجعبة المعلقة على، لأنّ بعض السهام يصيبه، وبعضها يصيبني، إذا كان كذلك، فلا بد من ذكر الجانحات[1].

2- **الاعتماد على ما خلف بعض العلماء الكبار** ، "كالأصمعي" "وابن الأعرابي" "وأبي عبيدة" وغيرهم.

كأن يقول: "وقال بعض الشيوخ..." بدون تحديد.

أو :" وسمعت أصحاب المعاني".

أو :" وقال أكثر أهل اللغة..."

أو:" ومرّ بي فيما قرأته عن مجاوبات قريش[2]

3- **الاعتماد على الأشباه والنظائر**

كقوله:" وفي طريقته قول الآخر...".

أو :" وفي هذه الطريقة قول الشاعر.."[3]

4- **الاعتماد على أحداث التاريخ وما جاء في الأمثال**[4]

والجدير بالذكر أنّ هناك ميزة انفرد بها "المرزوقي" عن غيره في مجال الرواية، وهي أنها تخضع لمجموعة من المعايير العلمية والفنية، يتّخذ منها حكما، حين يتتبع الروايات.

- من هذه المعايير، **تحكيم العقل**، كبيت المثلم:

(1)- المرزوقي، شرح الحماسة، الحماسية1، ص313.

(2)- المرجع نفسه، ص180-135-376-231.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ص371-413-439.

(4)- ينظر: المرجع نفسه، ص414.

سَـــأَكفِيكَ جَنْبِـــي وَضَـــعْه ووِسَـــادُه وأَغْضَبُ إِنْ لَم تُعْطِ بالحَقِ أَشْجَعَا[1]

لم يرض "المرزوقي" عن رواية الشطر الثاني منه، فنراه يضع رواية أخرى يرجحها ويدعمها بالوسائل الفنية والعلمية: يقول:

"ويغلب في نفسي أن الشاعر قال (وأغضب إن لم تُعطيا الحق وأشجعا). لأنه بنى الرسالة على أن تكون متوجهة نحو اثنين، سِنان وشجنه، مخاطبته من بعد أحدهما في قوله (سأكفيك) على عادتهم في الافتنان والتصرف، لا يمنع من الرجوع إلى ما بنى كلامه عليه من ذكر الاثنين، وهذا ظاهر لمن تأمله[2].

- **تطبيق الحس اللغوي**: إنّ التفاعل بين الفكرة، والكلمة، والعقل والقول، يؤسس لنا ما يسمى الإحساس اللغوي السليم، الذي يمنع الانحراف اللغوي والنحوي[3].

مثل ما جاء في بيت عبد الشارق بن عبد العزى:

رُدينـــة لـــو رأيـــتِ غَـــداةَ جِئْنـــا علـــى أَضَـــماتِنا وقـــد احْتَوَيْنَـــا

روى "المرزوقي" هذه الرواية وشرح معناها، ثم قال:" وروى بعضهم (أختوينا) بالخاء المعجمة، والمعنى خوت أفئدتنا من الودّ، وأجود منها(وقد اجتوينا) بالجيم، كأنّه يريد ما اشتمل الجوانح عليه من العداوة حتى صار جوًى، والأضمُ: الغضب، ومع ذكر الأضم (اجتوى) بالجيم أشبه وهو أقرب[4].

- الاستعانة بالشواهد الشعرية والقرآنية:

مثال ذلك قول بشامة النهشلي:

بِـــيضُ مَفَارِقِنَـــا تَغْلِـــي مَرَاجِلُنَـــا نَأْسُـــو بِأَمْوالِنَـــا آثَـــارُ أَيْـــدِينَا

(1)- أشجعا هو: أشجع ربث بن سنان بن غطفان بن سعد بن قيس ، ينظر: التبريزي: شرح الحماسة،الحماسية132، ص272.

(2)- المرزوقي، شرح الحماسة، الحماسية 131، ص277.

(3)- صادق السامرائي، اللغة العربية والمعاصرة الحضارية، ص 6. نموذجا منشورا إلكترونيا على الرابط التالي: htpp/w w w.arabpsynet.com/samarrai/doc samarrai wamasawahaa89-28915.pdf.

(4)-المرزوقي، شرح الحماسة ، الحماسية152، ص319.

هذه هي رواية "المرزوقي" العليا، التي اختارها وشرحها. ثم قال:" ويروى (بِيضُ مَعَارِفِنَا) وهي الوجوه، والمراد بذلك نقاء العرض وانتفاء الذم والعيب) ولكن هذه الرواية لا ترضيه، بل يرى أنّ روايته العليا(بِيضُ مَفَارِقِنَا) هي الأشهر والأحسن وهي الرواية الصحيحة. ويدلل على ذلك بمجموعة من الشواهد فيقول:

"يجوز أن يكون ابيضت مفارقنا من كثرة ما نقاسي الشدائد، وهذا كما يقال: أمرٌ يشيب الذوائب، وفي القرآن(يوما يجعل الولدان شيبا) وتغلي مراجلنا أي حروبنا.

"ويجوز أن يكون المراد: ابيضت مفارقنا لانحسار الشعر عنها باعتيادنا لبس المغافر والبيض وإدماننا إياه، ويكون هذا كما قال:

قَــدْ حُصَّــتْ البَيْضَــةُ رَأْســِي فَمَــا أَطْعَــمُ نَوْمًــا غَيْـرَ تَهْجَــاعِ

وتكون المراجل على هذا كناية عن الحروب أيضا"

"ويجوز أن يكون المراد: أبيضت مفارقنا من كثرة استعمالنا للطيب، ويكون كقول الآخر: جَلاَ الأَذْفُرُ الأَحْوَى مِنْ المِسْكِ فرقه

ويكون على هذا معنى (تغلى مراجلنا) أي قدورنا للضيافة[1].

-الاستدلال على صحة الرواية بالمذهب الفني للشاعر[2]:

كثر في شرح "المرزوقي" الاستدلال بأقوال الشاعر، وذلك تأييدا لوجهة نظره من مثل قوله:" ويغلب على ظني أن الشاعر قال كذا...لأن كذا..."[3].

أو:" ويشهد لهذا الوجه قوله..."[4].

(1)- المرزوقي، شرح الحماسة، الحماسية14، ص79.

(2)- هو جملة من الخصائص والمبادئ الأخلاقية والجمالية والفكرية تشكل في مجموعها المتناسق، لدى شعب من الشعوب تيارا يصبغ الناتج الأدبي بصبغة غالبة تميز ذلك النتاج عما قبله وما بعده في سياق التطور. ويشمل المذهب الأدبي كل أنواع الإبداع الفني كالأدب والموسيقى والرسم والنحت...فهو حصيلة فلسفية بلور نظرة الأمة إلى العالم والإنسان، وموقفها وهدفها ومصيرها وبالتالي طرائق تعبيرها الفنية. ينظر: عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب" مع ترجمات ونصوص أبرز أعلامها، منشورات اتحاد كتاب العرب،ن1999،ص7.

(3)- المرزوقي، شرح الحماسة ، ، ص183.

(4)-المرزوقي، شرح الحماسة ، ص92.

أو:" ودل على هذا بقوله..."[1].

أو:" وساغ ذلك لأن قوله...يدل عليه..."[2]

-التمحيص والتثبت القائمان على البحث والتنقيب:

إنّ هذا المعيار القائم على التمحيص والتثبت، قد جعل رواية "المرزوقي" للمصنفات الشعرية تختلف عن غيرها، فمثلا روايته لديوان الحماسة اختلف عن رواية غيره، وذلك كمّا وكيفا.

فمن حيث الكم، اختلف في عدد المقطوعات، وعدد الأبيات.

ومن حيث الكيف، اختلف في ترتيب المقطوعات، وترتيب الأبيات وكيفية معالجتها.

فشرح "المرزوقي" لديوان الحماسة يختلف عما وُجِدَ عند غيره، وذلك نتيجة لتمحيص الرواية، وعدم التمسك إلا بما تثبت صحته ودقته، لذلك جاء متن الحماسة عنده يخالف ما وُجِدَ عند أبي العلاء وتلميذه التبريزي، من حيث الرواية واختلافها ومن حيث عدد المقطوعات وعدد الأبيات وترتيب كل منها في مصنفاتهما.

فنلاحظ أن "المرزوقي" لم يرو الحماسية التي أولها:

أَقُــولُ لَهَــا وقَــدْ طَــارَتْ شُــعَاعا مِــنَ الأَبْطَــال وَيْحــك لــن تُراعي

وترتيبها عند التبريزي(14) ونتج من ذلك أن نجد أن المقطوعات التي تلي المقطوعة(13) يزيد رقمها واحدًا عند التبريزي، على حين نجدها برقم أدنى عند المرزوقي، أي أن الحماسية رقم (15) عند التبريزي يقابلها رقم(14) عند المرزوقي والحماسية رقم (16) عند التبريزي يقابلها رقم (15) عند المرزوقي وهكذا.

إنّ هذه المفارقات راجعة إلى الخلاف في نسخ الحماسة وروايتها، ومع ذلك فقد كان "المرزوقي" يرجع إلى نسخ متعددة سابقة عليه ليعقد المقارنات ويمحص الروايات وليختار أجودها وأقربها.

(1)- المرجع نفسه ، ص143-178.

(2)- المرجع نفسه ، ص134.

وتظهر صور اختلاف الرواية أقوى وأعمق في عدد الأبيات، ومنها يتضح أن اهتمام "المرزوقي" كان موجها إلى الصحة والدقة والصدق قبل الكثرة:

فبيت الشاعر:

أَقْـرَرْتُ عَيْنِي مِن أُولَئِكَ والفَـــــوائِحُ بِـــــالعَبِيرِ

في الحماسية 174 رواه "التبريزي"، أما "المرزوقي" قال عنه:" وهذا البيت لم يدخل في الاختيار.

وحماسية المنخل اليشكري رواها "المرزوقي" 15 بيتا، بينما رواها "التبريزي" 22 بيتا.

والحماسية 64 هي حماسية "مسور بن زيادة"، ذكرها "المرزوقي" خمسة أبيات فقط، وذكرها "ابن جني" ستة أبيات، وذكرها "التبريزي" ثمانية أبيات.

خاتمة:

- جعل "المرزوقي" من المصادر التي رجع إليها ، والنسخ التي اعتمد على ما جاء فيها حكما فصلا، فيما يحدده ويفضله من روايات.

- اعتزّ "المرزوقي" برأيه، واستقل بفهمه وتفسيره، حتى ولو خالف كل السابقين والمعاصرين، وقدّم كل تدعيم لما ذهب إليه من شعر العرب، وأسلوب العرب، ومنطقهم في الفهم والتعبير.

- حرص "المرزوقي" أكبر الحرص في شرحه على أن يكون مبدعا مستقلا بآرائه وتفكيره خاصة فيما يتعلق بمعاني أبيات الحماسة، ذلك أن أكثر الشروح اعتمدت أكثر ما اعتمدت على النقل من السابقين من مثل شرح التبريزي والطبرسي والرواندي.

- إنّ عمل "المرزوقي" في الروايات سواء في جانب المفاضلة بينها أو جانب نقدها وردّها قد دلّ عل ذاتيته من جهة، وعلى إبداعه وفنيته من جهة أخرى، وعلى استيعاب اللغة وفهمها وإدراكه كلام العرب وأساليب الشعراء من جهة ثالثة.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- قائمة المصادر:

1- المرزوقي ،شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علق عليه وكتب حواشيه، غريد الشيخ، ج1، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003.

ب- قائمة المراجع:

1- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، ط1 ، دار الكتاب العربي، بيرو، 1996، ص183.

2- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ج2، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

3- أحمد جمال العمري شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح، ج2، دط، دار المعارف، مصر، 1981.

4- عبد الرحيم عسيلان، حماسة أبي تمام وشروحها، دار إحياء الكتب العربية،دت.

5- التبريزي ، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، كب حواشيه غريد الشيخ ، ط1دار الكب العلمية، بيروت، 2000.

6- كعب بن زهير، الديوان، تح: علي فاعور، دط،دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

7- ابن النديم، الفهرست، تح: رضا تجدد ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف.

8- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1962.

9- البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، ج6، ط3، مكتبة الخانجي،ط3، القاهرة، 1997.

10- عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب" مع ترجمات ونصوص أبرز أعلامها، منشورات اتحاد كتاب العرب،ن1999.

ج- المراجع الإلكترونية:

1- صادق السامرائي، اللغة العربية والمعاصرة الحضارية، نموذجا منشورا إلكترونيا على الرابط التالي:

htpp/w w w.arabpsynet.com/samarrai/doc samarrai wamasawahaa89-28915.pdf.